# مقتل

# صالح بن عبدالقدوس

obeikandl.com

obeikandl.com

## ترجمته[١]

هو أبو الفضل: صالح بن عبدالقدوس البصري، مولى الأزد، أحد الشعراء المشاهير، كان صاحب حكمة لكنه قليل الدين، ممن تأثر بالفلاسفة في طلبهم الهدى من غير الشريعة، وصاغوا أبيات الحكمة بعيدة عن مقاصدها ومعانيها.

قال عنه الذهبي ـ رحمه الله ـ في الميزان: «صاحب الفلسفة والزندقة» أي أنه خلط بينهما.

وقال أيضاً: «قال النسائي: ليس بثقة. قلت ـ أي الذهبي ـ: لا أعرف له رواية» فتعقبه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «ويتعجب من قول الذهبي: لا أعرف له رواية، مع قول ابن عدي: وقد اتهمه النقاش بحديث: «زكاة الدار الضيافة»، وذكره في الضعفاء، وكذا العقيلي وابن الجارود»[٢].

وقال عنه المرزباني في معجم الشعراء: «كان حكيم الشعراء، زنديقاً متكلماً، يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم».

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣٠٣/٩)، ومعجم الأدباء (٦/١٢)، ونكت الهميان (ص١٧١)، وتهذيب ابن عساكر (٣٧١/٦)، ووفيات الأعيان (٢٩٤/٢)، وفوات الوفيات (٣٩١/١)، وميزان الاعتدال (٢٩٧/٢)، ولسان الميزان (١٧٢/٣)، وطبقات الشعراء لابن المعتز (ص٨٩).

(٢) لسان الميزان (١٧٣/٣).

وقال الشريف أبو القاسم المراغي في كتاب (غريب الفوائد): «كان حماد الراوية، وحماد عجرد، وحماد بن الزبرقان، وعبدالكريم بن أبي العوجاء، وصالح بن عبدالقدوس وعبدالله بن المقفع، ومطيع بن إياس، يحيى بن زياد الحارثي، وعلي بن الخليل الشيباني، مشهورين بالزندقة والتهاون بأمر الدين»[١].

وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان مشهوراً بالزندقة، وله مع أبي الهذيل مناظرات، وشعر كله أمثال وحكم وآداب»[٢].

ومن مستحسن قصائده، قوله:

**المرء يجمعُ والزمان يُفرّقُ**
**ويظلّ يرقَع والخطوب تمزّقُ**

**ولأن يُعادِي عاقلاً خيرٌ له**
**من أن يكون له صديقٌ أحمق**

**فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقاً**
**إن الصَّديق على الصّديق مصدَّق**

**وزن الكلام إذا نطقتَ فإنما**
**يُبدي عقول ذوي العقول المنطق**

**ومنَ الرّجال إذا استوت أخلاقهم**
**مَنْ يُستَشار إذا استشيرَ فيُطرق**

(١) لسان الميزان (١٧٣/٣).
(٢) تاريخ بغداد (٣٠٣/٩).

حـــتى يَحُلَّ بكلّ وادٍ قلبـــه
فيرى ويعرف ما يقول فينطق

لا ألفِـــيَنّك ثاوياً في غُـــربَةٍ
إنّ الغـــريب بكلّ ســـهم يُرشَق

مـا الناس إلا عـاملان فـعـامل
قـد مـات من عطش وآخـر يَغْـرَق

والنّاسُ في طلب المعـاش وإنّمـا
بالجـــدّ يُرْزق منـهمُ مَنْ يُرزق

لو يرزقون الناس حسبَ عقولهم
ألفَيتَ أكـثـرَ من ترى يتـصـدَّق

لكنه فـــضل المليك عليـــهم
هذا عليـــهِ مُـوَسَّعُ ومُـضـيّق

وإذا الجنازة والعـروس تلاقـيـا
ورأيت دمع نوائح يَتَـــرَقـــرَق

سكتَ الذي تبع العروس مبُهَتاً
ورأيت من تبـع الجنـازة يَنطِق

وإذا امـرؤ لسـعـتـه أفـعى مَـرَّة
تركَـتـهُ حينَ يجـرُّ حـبـلاً يَفـرَق

بقـيَ الذين إذا يقـــولوا يكذبوا
ومضى الذين إذا يقولوا يصدُقُوا

obeikandl.com

ومن قصائده الجميلة أيضاً قوله:

صرَمتْ حبالَكَ بعد وصلك زينبُ
والدّهر فيــه تصــرُّمٌ وتقلّبُ

نشرت ذوائبها التى أضحتْ لها
سوداً ورأسك كالثغامة أشيبُ

وكذاك وصلُ الغانيات فإنهُ
آلٌ ببلقَــعــة وبَرقٌ خُلَّبُ

فدع الصّبا فلقد عداك زمانه
واجهدْ فعمرك مرّ منه الأطيَبُ

ذهب الشباب فما له من عودةٍ
وأتى المشيب فأين منهُ المهرب

دَع عنك ما قد فات في زمن الصّبا
واذكُرْ ذُنُوبَكَ وابكها يا مُذنبُ

واذكر مُناقشة الحساب فإنّه
لا بُدّ يُحصَى ما جَنيتَ ويكتبُ

والليل فاعلم والنهار كلاهما
أنفاسنا فيهِ تُعَدُّ وتحسَبُ

لم يَنسَهُ المَلكان حين نسيتهُ
بل أثبتاه وأنت لاه تلعَبُ

والرُّوح فـيك وديعـة أودِعـتَـهـا
سَـتـرُدُّها بـالرَّغمِ منكَ وتُسلبُ

وغُـرور دُنيـاك التي تَسعى لهـا
دار حـقـيـقـتُـهـا مـتـاع يذهبُ

وجـمـيع مـا حـصَّلتهَ وجـمـعـتـه
حـقـاً يـقـيناً بـعـد مـوتك يُنهبُ

تبـاً لدار لا يدوم نعـيـمـهـا
ومَـشـيـدها عـمّـا قليل يَخـرَبُ

فاسـمع هُديتَ نصـائحاً أَوْلاكَـها
بَـرٌّ نصـوح للأنام مـجـرّبُ

أَهدى النصيحـةَ فاتّعظ بمقاله
فـهـو التَـقيُّ اللّوْذَعِيُّ الأدربُ

لا تـأمـنِ الدّهَـر الخـؤون لأنه
مـا زال قِـدْمـاً للرجـال يُهـذّبُ

وكـذلك الأيام في غـصَّـاتهـا
مَـضَضٌ يذِلُّ له الأعـزّ الأنجبُ

ويَفـوز بالمال الحـقـيـرُ مكانةً
فـتـراهُ يُرْجَى مـا لدَيه ويـرْغبُ

ويُسَـرُّ بالتّـرحيب عند قـدومـه
ويُقـامُ عند سـلامـه ويُقَـرَّبُ

فاقنَعْ ففي بعض القناعة راحة
ولقد كُسي ثوبَ المَذَلَّة أشعَبُ

لا تحرصَنْ فالحِرص ليس بزائدٍ
في الرّزق بل يُشقي الحريص ويُتعبُ

كم عاجزٍ في الناس يأتي رزقُهُ
رغداً ويُحرَمُ كيّس ويُخيَّبُ

فعليك تقوَى الله فالزمها تَفزْ
إن التّقيَّ هو البَهيُّ الأهيبُ

واعملْ بطاعته تنَلْ منه الرّضا
إن المطيع لربّه لمقرَّبُ

أدّ الامانة والخيانة فاجتنبْ
واعدِل ولا تظلم يطيبُ المكسبُ

واحذر من المظلوم سهماً صائباً
واعلم بأن دعاءَهُ لا يُحجبُ

واخفِضْ جناحك للأقارب كلّهم
بتذَلّلٍ واسمح لهم إن أذنبوا

وإذا بليتَ بنكبة فاصبِرْ لها
من ذا رأيتَ مُسلَّماً لا يُنكبُ

وإذا أصابك في زمانك شدَّةٌ
وأصابك الخطبُ الكريهُ الأصعَبُ

فـــاســـجـــد لرَبّك إنه أدنى لَمِنْ
يدعـوه من حـبل الوريدِ وأقـرَبُ

واحـــذر مـــؤَاخـــاة الدَّنيّ لأنه
يعدي كما يعدي الصحّيحَ الأجرَبُ

واختـر صديقك واصطفيه تفاخُراً
إن القَـــرِينَ إلى المقـــارنِ يُنسَبُ

ودع الكذوب ولا يكنْ لك صاحباً
إن الكذوب لبـئس خِـلاً يُصـحَبُ

وذَرِ الحـقـودَ وإن تقـادم عـهـدُه
فالحقدُ باق في الصُّدُور مُـغيَّبُ

واحـفَظ لسانك واحـترِز من لفظه
فـالمرء يسلم باللّسـان ويَعطَبُ

وزن الـكلام إذا نـطـقتَ ولا تـكـن
ثـرثْـارَةً فـي كـلّ نـاد تـخـطـبُ

والسّـر فـاكـتُـمـه ولا تنطق به
فـهـو الأسـيـرُ لديك إذ لا ينشَبُ

واحرص على حفظ القلوب من الأذى
فـرُجوعُـها بعـد التنافُـر يصعُبُ

إن الـقـلـوب إذا تـنـافـــــر وُدها
شِبْهُ الزُّجاجة كَسرها لا يُشعَبُ

واحــذر عــدُوّك إذ تراه باســمــاً
فــاللّيثُ يبــدُو نابُه إذ يغــضَبُ

وإذا الصّـدِيق رأيتَـهُ مُـتَـملّقـاً
فـهــو العــدوُّ وحـقُّــه يُتـجنبُ

لا خـيــر في ودّ امـرئ مُـتـملّق
حُلوِ اللّســان وقلبُــهُ يتلَهَّبُ

يُعطيك من طرَف اللّسان حلاوة
ويروغ منك كـمـا يَروغ الثّـعلبُ

يـلـقـــاك يحلِف أنـه بك واثقٌ
وإذا تَوَارى عنك فـهـو العـقـرَبُ

وإذا رأيتَ الـرِّزْق ضـــاق ببـلدة
وخَشيتَ فيها أن يضيق المكسبُ

فارحلْ فأرض الله واسعة الفضا
طولاً وعرضاً شَرْقها والمغرب[1]

❀ ❀ ❀

(١) انظر: جواهر الأدب، للهاشمي (ص٦٦٧ ـ ٦٧٠).

obeikandl.com

## مقتله

لقد تدرج الشيطان بهذا الشاعر الزنديق في مهاوي الردى، وتقلب به بين دركات الضلال، إلى أن جعله يمس جناب المصطفى ﷺ ويُعَرِّض به في شعره، والعياذ بالله!

وقد نقل ابن المعتز قصيدته القبيحة في كتابه (طبقات الشعراء) مدللاً على زندقة الرجل، وقال بعدها: «عليه لعنة الله إن كان قالها».

وهي قوله:

**غَصَب المسكينَ زوجتَه**
**فجرَتْ عيناه من دُرَره**

**ما قضى المسكينُ من وَطَرٍ**
**لا ولا المعشار من وطره**

**عذتُ بالله اللطيف بنا**
**أن يكون الجَوْر من قدره**

يُعَرِّض الزنديق بقصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ زاعماً الخبيث أن رسول الله ﷺ قد أكره زيد بن حارثة رضي الله عنه على طلاقها حتى يتسنى الزواج بها!!

متناسياً أن الله قد قطع الظنون حول هذا الزواج بإنزال آيات مباركات من القرآن تكشف حقيقته؛ ليهلك بعدها من هلك عن بينة.

وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

وملخص القصة كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري[1].

«قد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي، فساقها سياقاً حسناً واضحاً، ولفظه:

«بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، كان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة ـ مولاه ـ فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله فزوجها إياه، ثم أعلم الله نبيه بعد أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً».

أي قبل أن يُحرم الإسلام التبني، فأراد الله بهذه الحادثة أن يبين للناس حكماً كانوا يجهلونه، وهو جواز أن يتزوج الرجل مطلقه

(١) (٨/٣٨٤).

من تبناه قبل تحريم التبني، وأنها لا تكون كزوجة الولد المطلقة، ودليله قوله سبحانه بعد ذكر الحادثة: ﴿**لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا**﴾.

أما ما ذكره بعض المفسرين من روايات مكذوبة أو ضعيفة في تفسير هذه الآية من أن النبي ﷺ رأى زينب بنت جحش فأعجبته فأراد زيد فراقها، فقال له ﷺ: ﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**﴾ ويخفي في نفسه محبة الزواج بها!

فكل هذا باطل لا يصح، وقد نزه الله رسوله ﷺ عنه.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بعد أن أخرج القصة السابقة: «وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها»[1].

وما أحسن ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذه القصة: «وأما ما زعمه بعضُ من لم يقدر رسول الله ﷺ حقَّ قدره أنه ابتُلي به في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: «سُبْحَانَ مُقَلِّب القُلُوبِ»، وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد ابن حارثة: أمسكها حتى أنزل الله عليه: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن

(١) فتح الباري (٨/٣٨٤).

العشق، وصنَّف بعضهم كتاباً في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميلهِ كلام الله ما لا يحتمِلُه، ونسبته رسول الله ﷺ إلى ما برأه الله منه، فإن زينبَ بنتَ جحش كانت تحتَ زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ قد تبناه، وكان يُدعى زيد بن محمد وكانت زينبُ فيها شمم وترفُّع عليه، فشاور رسول الله ﷺ في طلاقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وأخفى في نفسه أن يتزوَّجَها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس أنه تزوَّج امرأة ابنه؛ لأن زيداً كان يدعى ابنه.

فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له؛ ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يُعدد فيها نعمه عليه لا يُعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناسَ فيما أحل الله له، وأن الله أحقُّ أن يخشاه، فلا يتحرَّج ما أحله له لأجل قول الناس، ثم أخبره أنه سبحانه زوَّجه إياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمَّتُه به في ذلك، ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبني، لا امرأة ابنه لصُلبه، ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾.

وقال في هذه السورة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾. وقال في أولها: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.

فـتـأمَّل هذا الذبَّ عن رسـول الله ﷺ، ودفع طعن الطاعنين عنه، وبالله التوفيق»[١].

**الحاصـــل:**

أن هذا الزنديق قد ارتقى مرتقىً صعباً بتطاوله ولمزه لرسول الله ﷺ، وهو الأمـر الذي يُحكم على فـاعله بالردة والقـتل دون استتابه، نعوذ بالله من غضب الله.

سارت هذه الأبيات السيئة بين الناس، فحملها أصحاب الغيرة والصـدق إلى خليفـة المسلمين المهـدي العـبـاسي الذي قـام بطلب إحضار صالح بن عبدالقدوس للتحقيق معه.

قال القاضي ابن خلكان[٢]: «فأحضره المهدي وقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟!

فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركتُ بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي ﷺ: «**ادرؤا الحدود بالشبهات**»، وجعل يتلو عليه القرآن حتى رقَّ له، وأمر بتخليته.

فلما ولى قال له المهدي: أنشدني قصيدتك السينية.

---

(١) زاد المعاد (٢٦٦/٤ ـ ٢٦٧). ومن أراد زيادة البيان في تفنيد هذه القصة الباطلة فعليه برسالة (التحقيق في قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ في ضوء الكتاب والسنة) للشيخ محمد سالم الجكني.

(٢) وفيات الأعيان (٤٩٢/٢) بتصرف يسير.

فأنشده، حتى بلغ إلى قوله فيها:

**والشـــيخ لا يتـــرك أخـــلاقـــه**

**حـــتى يـوارى فـي ثرى رمـــســـه**

**إذا ارعـــوى عـــاد إلـى جـــهـلـه**

**كـــذي الضنـى عـــاد إلـى نكســـه**

فقـال له المهـدي: فـأنت لا تـترك أخـلاقك، ونحن نحكم فـيك بحكمك في نفسك، ثم أمر به فقتل وصُلب على الجسر».

وقـال ياقـوت في مـعـجم الأدباء[1]: «قتله المهـدي بيـده، ضـربه بالسيف فشطره شطرين، وعُلِّق بضعة أيام للناس، ثم دُفن».

❀ ❀ ❀

(١) (١٢ / ٧ - ٨).